علاقات المرابطين السياسية مع الخلافة العباسية

الدكتور خليل ابراهيم صالح

وقعت الخلافة العباسية تحت السيطرة السلجوقية في عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥ م حيث بدأ عهد جديد يسمى عصر النفوذ السلجوقي (١)، يبدو لنا من استعراض الروايات التاريخية انعلاقة المرابطين مع الخلافة العباسية ذات ثلاث اتجاهات :

الاول : اعتراف دولة المرابطين بالسيادة الشرعية العباسية على دولتهم، والالتزام بها لحصول عهود التولية، مع ذكر اسم الخليفة العباسي على النقود والمنابر في المغرب والاندلس؛

الثاني : مساهمات فردية على شكل وعظ وارشاد او مشاركة في بعض حروب الجهاد ضد الصليبيين الذين هاجموا بلاد الشام ومصر، علما بأن حروب الجهاد التي قام بها المرابطون في الاندلس اثرت على حركة الصليبيين في المشرق، ولو ان دولة المرابطين لم تسمح لها ظروفها ان ترسل الامدادات العسكرية إلى المشرق الاسلامي ؛

الثالث : موقف دولة المرابطين المعادى للدولة الفاطمية ، عدوة الدولة العباسية من الناحية السياسية والمذهبية،وقد فشلت كثيرمن المساعى للصلح بين الدولة الفاطمية ودولة المرابطين–

في هذا الفصل نتناول الكلام عن الاتجاه الاول والاتجاه الثاني ، أما الاتجاه الثالث، فسيكون مبحث الفصل الرابع ، بعون الله .

الاتجاه الاول :

كان الجهاد الركن الاول الذي قامت عليه دولة المرابطين ، وبه انقذت الاسلام في المغرب والاندلس مما وصل اليه من ضعف ووهن ، وأصبح المسلمون يلهجون حمدا

---

(١) الاصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، ص ١٥ – ١٧– ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ص٦١ – ٦٢. وخلفاء العباسيين الذين عاصروا قيام وسقوط دولة المرابطين هم : القائم ٤٢٢ – ٤٦٧هـ، المقتدي ٤٦٧ – ٤٨٧هـ، المستظهر ٤٨٧ – ٥١٢هـ، المسترشد ٥١٢ – ٥٢٩هـ، الراشد ٥٢٩ – ٥٣٠، المقتفى ٥٣٠ – ٥٥٥هـ.

رجع ، شلبي : التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، ص ٦٠ .

(*) مستل من رسالة الدكتوراه تحت عنوان: «علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدولة الاسلامية» باشراف الدكتور أحمد محمد وراج –كلية الآداب /جامعة القاهرة ١٩٧٩.

باسم يوسف بن تلشفين وانتصاراته الرائعة ، وخاصة مواقفه البطولية في بلد الاندلس، الذي اوقف الزحف الصليبي على القواعد الاندلسية ، ورد كيد النصارى في معارك مشهودة بالبطولة والفداء ، واصبح الناس في المشرق الاسلامي يرقبون في شغف واهتمام ذلك النصر والتوفيق الذي اقترن باسمه (١) ، على مستوى العلماء والفقهاء (٢) ، او على مستوى رجال السياسة ، حيث سرت الخلافة العباسية بهذا الجهاد الموفق ، فاعترفت بيوسف بن تاشفين اميرا يحكم من قبل الخليفة العباسي (٣)، بعد وفاة (أبو بكر بن عمر)، وكتب يوسف إلى الخليفة العباسي ينوه بالدور الذي اضسطلع به في معركة الجهاد ، وبين مدى ما أصاب من نجاح ، وما تحمل من جهد (٤) ، وتردد اسم يوسف مقترنا باسم الخليفة العباسي على منابر المغرب والاندلس ، ومقرونا مع اسمه على السكة، وبذلك تكون دولة المرابطين قد قامت واقعيا ونظريا بعد اعتراف الخلافة العباسية بها (٥)

كان يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت يتألق مجدا وتزداد سمعته الجهادية رفعة في الوقت الذي كان فيه الوهن والضعف يدب في جسم الخلافة العباسية نتيجة خضوعها لسيطرة بني بويه ، ومن بعدهم السلاجقة ، فلو تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المؤمنين ماعابه أحد، ولما اعترض عليه معترض ، كما حصل الأمر بالنسبة إلى الموحدين الذي ادعى امامهم بالمهدوية (٦)، ومن ثم اقاموا خلافة مغربية واتخذوا لقب امير المؤمنين (٧)، وبذلك انقطعت الدعوى لبني العباسي في المغرب بعد زوال دولة المرابطين (٨).

ولكن يوسف بن تاشفين بادراكه الواسع وتفهمه لمباديء الاسلام ، رأى أن يكون هناك رمز يجتمع حوله المسلمون عنوان الوحدة الاسلامية التي ينبغي للمسلمين أن يعملوا على تقويتها ودعمها ، فكما انها قبلة واحدة ، فهي ايضا وحدة اسلامية واحدة ، فلا

---

(١) حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ،ص٢٢٣ .
(٢) مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ،ص٤ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص ٢٧٠ .
(٤) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٢ ، ص ١٨٥ .
(٥) حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين ،ص٢٢٣ .
(٦) ابن الخطيب ،الحلل الموشيه ،ص٧٨ – فيليب حتى ،تاريخ العرب(مطول) ج٢ ، ص٦٤٩.
(٧) حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين ،ص ٣٢٦.
(٨) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٢ .

ينبغي أن يكون هناك خلافتان ، انما هي خلافة واحدة وعلى المسلمين أن يسيروا في ركابها حتى تكون وحدة شاملة (١) ولعل هذا ما وعاه يوسف بن تاشفين وقصده من عدم رضائه ان يتسمى بأمير المؤمنين (٢) : والا كان في وسع امير المرابطين عدم الاعتراف والولاء للخليفة العباسي ، وآلاف الاميال وبحور كبيرة فاصلة بينهما ، اضافة إلى ضعف الخليفة العباسي في هذا العصر حيث كان أسير سلاطين السلاجقة (٣):

وبذلك وصح للمسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، ان دولة جديدة قامت بالمغرب الاقصى تحيى مجد الاسلام وتقهر اعداءه وتوحد بين المسلمين وتشد ازرهم ، ولولا الجهاد في الاندلس وبعض من جهادهم في المشرق الاسلامي ، لكان من الممكن الا يختلف تاريخ المرابطين عن تاريخ تلك الدويلات التي قامت بالمغرب الاقصى ، وهي الامارات الزناتية (٤) ، وانتهت دون أن تثير اهتمام الناس (٥) :

يبدو لنا من تتبع النصوص والروايات التاريخية ، ان علاقات المربطين السياسية مع الخلافة العباسية تضاربت فيها الاقوال : وأول مشكلة ظهرت حول العملة المرابطية التي تعود إلى عهد (ابي بكر بن عمر ٤٤٧ - ٤٨٠ هـ) (٦)

والتي ضربت في مدينة سجلماسة، وقد جاء في وجه العملة لا اله الا الله، محمد رسول الله، الامير ابو بكر بن عمر، وفي ظهر العملة، الامام عبد الله امير المؤمنين. وجاء في اطار الوجه «ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وفي اطار الظهر : ضرب هذا الدينار بسجلماسة سنة احدى وخمسين واربعمائة (٧) :

(١) الاصل النظري للخلافة السنية ، بأن الخلافة واحدة لاتتجزأ ولاتتعدد وأن الخروج عنها عصيان ، وأن الخليفة الشرعي هو حامي حمى الحرمين الشريفين أي المسيطر على الحجاز أصل العرب والملة ، وهو الخليفة العباسي في ذلك الوقت . العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٨١ .

(٢) الجمل ، أمير المسلمين ، ص٧٨.

(٣) راجع السلاوى ، الاستقصا ، ج٢ ، ص٥٨.

(٤) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٨٥ .

(٥) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٢٣.

(٦) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٦ - السلاوى ، الاستقصا ، ج١ ، ص ١٠٦.

(٧) ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ١٠٩ - مؤنس ، سبع وثائق جديدة ، ص ٦٥.

فالاختلاف دار حول الكتابة الواردة في ظهر العملة (الامام عبد الله امير المؤمنين) ، فمن هو هذا ؟ هل هو الفقيه عبد الله بن ياسين ، أم هذا هو لقب الخليفة العباسي ؟ ومعنى هذا ولاء المرابطين المبكر للخلافة العباسية.

من خلال استعراض قيام دولة المرابطين نرى ما يلي : —

١ — خلال المراحل الاولى لقيام هذه الدولة والى عام ٤٥١ هـ، وهو عام استشهاد عبد الله بن ياسين (١)، كان هناك الزعيم الديني لهذه الدولة وهو عبد الله بن ياسين ، وهناك الزعيم السياسي والعسكري وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي الذي توفي عام ٤٤٠هـ فنقل عبد الله بن ياسين السلطة العسكرية من قبيلة جدالة إلى قبيلة لمتونة وذلك حين اختار يحيى بن تلاكاكين اللمتوني (٢) وبذلك ظهرت قبيلة لمتونة على مسرح الاحداث، حين تولى احد ابنائها وهو يحيى بن عمر القيادة العسكرية والذي توفي عام ٤٤٨ هـ، فعين عبد الله بن ياسين مكانه اخاه (ابو بكر بن عمر) (٣) ، والذي استشهد في معارك الجهاد جنوبي الصحراء عام ٤٨٠ هـ (٤) : ومعنى هذا انه بعد استشهاد عبد الله بن ياسين عام ٤٥١ هـ لم يرد ذكر لزعيم ديني في دولة المرابطين.

٢ — من استعراض الروايات التأريخية نرى ان لقب عبد الله بن ياسين ورد باسم الفقيه (٥) والشيخ (٦) والامام (٧) .

٣ — في المراحل الاولى من قيام دولة المرابطين، اطلق عبد الله بن ياسين لقب امير المسلمين على ابي بكر بن عمر الذي تولى الامر خلفا ليحيى بن عمر (٨) ، وقد اشار النويري إلى ذلك بقوله «فأتوا — اي عبد الله بن ياسين ومن معه — ابا بكر بن عمر

---

(١) مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ،ص٥٢ — ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٤ ، ص ١٦.

(٢) اكنسوس ، الجيش العرمرم الخماسي ، لوحة ، ٢٧.

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج٣ ، ص ٢٢٩.

(٤) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ،ج٢ ، ص ٣٥.

(٥) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ج ٢ ، ص ١٧ — ١٨ .

(٦) ابن الخطيب ،الحلل الموشية ، ص ١٠ — ١١ .

(٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص١٢ ، ص ١٤ ، ص ١٥ ، ص ١٦ — ولد داده ،مفهوم الملك في المغرب ، ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٨) الصفاقسي ، نزهة الانظار ،ج١ ، ص ١٦٨ .

فأجاب وعقدوا له راية وبايعوه بيعة الاسلام وتبعه زمرة من قومه وسماه عبد الله بن ياسين امير المسلمين، » (١) ومعنى هذا ان لقب ولاه الامر من المرابطين قبل يوسف بن تاشفين هو الامير وأمير المسلمين.

فالمتفق عليه عموما ان عبد الله بن ياسين لقب بالامام، ولكن الاختلاف يدور حول لقب امير المؤمنين فمن صاحب هذا اللقب، هل هو عبد الله بن ياسين ام عبد الله لقب الخليفة العباسي.

من استعراض الروايات التاريخية نستنتج ما يلي :-

١ - ان عبد الله بن ياسين لم يجعل من نفسه اماما للمرابطين فقط ، بل كانت له سيطرة حتى على امراء المرابطين ، وكان يتصرف عموما بالامور السياسية ايضا إلى ان مات عام ٤٥١ هـ (٢) .

٢ - كانت قوة المرابطين منذ بداية خروجها من رباط السنغال إلى سنة وفاة عبد الله بن ياسين ٤٥١ هـ في صراع مرير مع امارات المغرب الاقصى وتبادلوا النصر والهزيمة حتى ان عبد الله بن ياسين استشهد خلال هذه المعارك ومعنى ذلك ان هذه القوة لم يكن لها كيان سياسي واضح المعالم لحد الان إلى ان وصلت إلى سبتة وطنجة عام ٤٧٦ هـ.

٣ - النقود المرابطية التي ضربت في عهد يوسف، جاء فيها صراحة لقب (امير المؤمنين عبد الله للعباسي)، اما اللقب مثار للخلاف هو (الامام عبد الله امير المؤمنين).

من كل ذلك ربما يمكن القول : ان عبد الله بن ياسين الذي كان اماما للمرابطين ، لقب ايضا (محليا) بأمير المؤمنين من المرابطين للذين تبعوا دعوته وساروا وراء قيادته، امراء ورعية.

ولكن من الجانب الآخر تدفعنا الروايات التاريخية إلى توضيح بعض الامور ومنها :

١ - قطعت مملكة بني مناد الدعوة للدولة الفاطمية ، وبايع امير المهدية المعزبن باديس (٤٠٨ - ٤٥٣هـ) الخليفة العباسي القائم (٤٢٢ - ٤٦٧هـ) وخاطبه ودعا له على منابره (٣)،

(١) النويري ، نهاية الارب ،ج٢٢ ، مج ٢ ، ص ٧٧.

(٢) راجع عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٠٣.

(٣) الوزير السراج ، الحلل السندسية ،ج١ ،ق٤ ، ص ٩٤٠.

وذلك خلال الفترة من عام ٤٠٧هـ والى عام ٤٤٣هـ (١) وبعث بالبيعة إلى بغداد (٢) ، مما ادى إلى غزو بني هلال لشمالي افريقية . ونفس الحال قام به حماد بن بلكين امير القلعة بين عام ٤٠٥هـ وإلى عام ٤٢٣ (٣). ومعنى هذا ان منطقة المغرب الاوسط والأدنى، المجاورة لتحركات المرابطين في المغرب الاقصى ، اعترفت بالخلافة العباسية بوقت سابق لتاريخ ضرب العملة المرابطية (عام ٤٥١هـ).

٢ — ان القاب حكام المرابطين ، هي : الامير ، وامير المغرب (٤) ، وامير المسلمين ، وأمير المؤمنين (٥)، كما أشارت إلى ذلك صراحة الروايات التاريخية ، أما عبدالله بن ياسين فلم يلقب الا بالإمام والشيخ والفقيه .

٣ — لما كانت مذاهب السنة تنادى بأن الامامة لقريش (٦) يجتمع حولها المسلمون (٧)، ولما كانت رسالة المرابطين هي احياء السنة ، كان من الطبيعي ان تعترف بامامة قريش، وتعتقد بايمان انه لن يعتبر ملكها مشروعا الا اذا باركته الامامة القرشية ، ولما كانت الخلافة الاموية في الاندلس قد سقطت نهائيا عام ٤٢٢هـ ، ولم يعد يمثل الخلافة القرشية في ذلك الوقت الا بنو العباس في بغداد ، وكان طبيعيا ان تتجه دولة المرابطين صوب العباسيين تلتمس التأييد وتطلب الاعتراف الرسمي بسلطانها (٨)، ومن الجانب الآخر لم يعترف المرابطون بامامة الفاطميين في مصر حيث رموهم بالزندقة والالحاد (٩) اضافة إلى ولاء منطقة المغرب الأدنى والأوسط للخلافة العباسية .

(١) راجع ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٧ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ٥١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص١٤ .

(٣) الميلي، تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ١٩٠ — الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج١ ص ٣٤٠.

(٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٩٨.

(٥) ابن ابي دنيار ، المؤنس ، ص ١٠٩ .

(٦) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ١٣ — السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص ٩

(٧) ابن بسام ، الذخيرة ، ج٢ ، ق٢ ، ص ١٤٨.

(٨) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٢.

(٩) لم يورد لهم السيوطي أية تفاصيل باعتبار أمامتهم غير صحيحة وانهم من غير قريش راجع: تاريخ الخلفاء ، ص٤ — ٥ — عياض ، ترتيب المدارك، ج٤ ، ص ١٥٧، ص ٥١٣.

وتقرر بعض الروايات الحديثة بأن المرابطين اعطوا ولاءهم المبكر للخلافة العباسية وأن المقصود بالامام عبدالله أمير المؤمنين هو لقب الخليفة العباسي (١) ولكننا على العموم تميل إلى ترجيح الرأي الأول :

وقد تمثل ايمان المرابطين بأحقية بني العباس في الامامة والخلافة ، في مانسب إلى يوسف بن تاشفين حين طالبه قومه بأن يتخذ لقب امير المؤمنين وخاصة لما كثرت فتوحه وترامت اطراف مملكته ، حيث اعترض باباء على هذا اللقب واعتبره من حق خلفاء بني العباس لانهم من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحماة مكة والمدينة وانه تابع لهم (٢)، فاكتفى بلقب امير المسلمين (٣) ، وهو المعروف لدى اسلافه :

الا أن بعض الروايات التاريخية تذهب إلى أن : يوسف بن تاشفين اتخذ لقب (امير المسلمين وناصر الدين) في عام ٤٦٦هـ ، وخطب له بذلك على منابر المغرب ، وخرج بذلك كتابه إلى سائر انحاء دولة المرابطين (٤). وقد ذكرت بعض هذه الروايات ان علي بن يوسف بن تاشفين تلقب بلقب امير المؤمنين (٥) ومن الجانب الآخر اشارت بعض الروايات إلى ان يوسف بن تاشفين اختار لنفسه هذا اللقب (أمير المسلمين وناصر الدين) بعد ان جاز إلى الاندلس وكسب معركة الزلاقة ضد النصارى عام ٤٧٩هـ (٦).

نستنتج من كل ما سبق ، ان يوسف بن تاشفين اتخذ لقب امير المسلمين في عام ٤٦٦ هـ ١٠٧٣ م أي بعد تنازل ابي بكر بن عمر سنة ٤٦٥ هـ له عن رئاسة المرابطين لأن هذا اللقب اطلق على سلفه هذا ، واضافة على اصرار يوسف على هذا اللقب بعد عام ٤٦٥هـ أ، وعدم تلقبه بلقب امير المؤمنين ، وخاصة بعد الانتصار في معركة الزلالة

(١) ولد داده، هيئة الملك في المغرب ، ص ٢١٦، (ح ٣١٠) .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٤، ص ٢٧ – ٢٨ – ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ص١٧.

(٣) عنان ، عصر المرابطين والموحدين ،ق ١، ص ٣٩ –ولد داده ، المرجع نفسه ص ١١١.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ،ص٢٧ – ٢٨ – ابن الخطيب ،الحلل الموشيه،ص١٦– ١٧ .

(٥) ابن ابي دنيار ،المؤنس ، ص ١٠٩ .

(٦) راجع ، إبن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص ٢٤٣ – ابن الخطيب ، أعمال الاعلام جـ٢، ص ٢٥١ .

ووفاة الامير ابو بكر (١)، ولكن لم يكن هناك مايمنع من اتخاذ لقب يشعر بعظم مكانة يوسف ، ثم دعم هذا اللقب بانتصاراته العظيمة في الاندلس ، ثم اتصاله بالخلافة العباسية ورضاها عن اعماله وموافقتها على لقبه (٢) .

وعندما تولى يوسف بن تاشفين مقاليد الامور أصدر عملة مدورة الشكل وقد كتب عليها اسمه، وكان ذلك في سنة ٤٧٣ هـ/١٠٨٠ م (٣)، وقد اشار ابن المؤقت إلى هذه العملة وذكر انه نقش فيها : لا اله الا الله، محمد رسول الله، وتحت ذلك امير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكتب في الدائرة : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وكتب في الصفحة الاخرى امير المؤمنين عبد الله العباسي (٤).

ومن المعلوم ان الخلفاء العباسيين المعاصرين لقيام دولة المرابطين كنيتهم عبد الله، (ابو جعفر عبد الله القائم) و (ابو القاسم عبد الله المقتدي) و(عبد الله العباسي المستظهر)(٥).

كانت دولة المرابطين تبدي اهتماما باخبار الدولة العباسية (٦)، كما ان اعتراف يوسف بن تاشفين بطاعة الخليفة العباسي مسألة تتفق عليها معظم الروايات التاريخية، كما ان اغلب هذه الروايات تشير إلى اتصال يوسف بالخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ (٧).

ولكن يبدو لنا ان هذا الاتصال سابق لعصر هذا الخليفة، حيث ارسل يوسف بن تاشفين سفيراً إلى بغداد، وهو (ابو بكر عتيق بن عمران بن محمد بن عبد الله الربعي) قاضي مدينة سبتة(٨) ، فقدم هذا السفير إلى بغداد وأقام بها سنتين يطلب العلم، ولما

---

(١) هذا الموقف يمثل صورة واضحة للعقلية الاسلامية في العصور الوسطى فقد كان الناس لايفهمون حكماً لايعترف به خليفة ، وكل من يشذ عن ذلك يعتبر خارجاً عن رأي الجماعة: محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٣.

(٢) Brelvi, Islam in Africa, P. 134-Arnold, The Caliphate, p: 83.

(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ،ج٢، ص٧٦ - السلاوى ، الاستقصا، ج٢ ، ص٣٢.

(٤) السعادة الابدية ج٢ ص٩٠ - ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٤٦ - ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ١٠٩ .

(٥) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج٤ ، ص ٢٨ .

(٧) راجع ، ابن الاثير ، الكامل ،ج١٠ ،ص٤١٧ - القلقشندي، صبح الاعشى ، ج٥ ص٢٥٨ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام، ج٣، ص٢٥٢ - ابن خلدون، العبر ، ج٦، ص٢٨٦

(٨) محمد بن تاويت ، الادب المغربي، ص ١١٧.

رجع إلى بلاده قتله امير الجيوش بدر الجمالي عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م بالاسكندرية، لانه وجد معه كتبا من الخليفة المقتدي بامر الله العباسي (٤٦٧ – ٤٨٧ هـ) إلى يوسف بن تاشفين (١)، وقد لمحت بعض الروايات التاريخية إلى علاقة يوسف بن تاشفين بالمقتدي بامر الله العباسي، والذي كان معاصرا لمعركة الزلاقة في الاندلس عام ٤٧٩ هـ (٢) :

ولكن بعد وفاة الخليفة المقتدي عام ٤٨٧ هـ ومبايعة الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ – ٥١٢ هـ)، جدد يوسف بن تاشفين الاتصال بخليفة بغداد الجديد ورشح لهذه المهمة القاضي المعافري وولده القاضي ابا بكر، فقد كان التقليد يتجدد كلما مات خليفة وخلفه آخـــر.

ذكرت المصادر التاريخية السفارة التي ارسلها يوسف بن تاشفين إلى بغداد برئاسة ابو بكر عبد الله بن محمد بن العربي المعافري وولده القاضي ابو بكر (٤٨٥ – ٤٩٣هـ ١٠٩٢ – ١٠٩٩ م) (٣)، وقد كانت على اثر مقتل السفير الاول، في مصر عام ٤٨٤هـ (القاضي عتيق بن عمران) – ويبدو ان الامير سير بن ابي بكر والي اشبيليه المرابطي هو الذي رشح هذا الفقيه للقيام بهذه المهمة ووافق عليه الاميريوسف بن تاشفين، وقد وافق ابن العربي للقيام بهذه السفارة بسبب ما كان يعانيه من ضيق نتيجة تعاون المعتمد بن عباد مع النصارى، وقد ذكر ابن العربي هذا الامر للامام الغزالي، اضافة إلى ما رآه من اخلاص المرابطين في الجهاد وحسن معاملتهم (٤) .

وقد كان القصد من هذه السفارة، احضار تفويض الخلافة العباسية بصحة ولاية يوسف بن تاشفين، ووجوب طاعته، واحضار فتوى من الامام الغزالي بهذا المعنى (٥)؛

ان الفقيه المعافري وابنه قد رحلا إلى المشرق سفيرين ليوسف بن تاشفين إلى الخليفة العباسي في مستهل ربيع الاول عام ٤٨٥ هـ، وقد اتخذت هذه السفارة طابع الرحلة في طلب العلم بجانب طابعها الدبلوماسي (٦) : وكان هذا شأن العالم والفقيه في ذلك الوقت

(١) عصمت هانم، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب أفريقيا، ص١٩٨ (ح ٢) .

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٢٨ – حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٢٣٤.

(٣) ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص ١٦٠ – ابن بشكوال ، الصلة ، ق١، ص ٢٨٨ .

(٤) عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص١٩٧ – ١٩٨.

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٣٨٦ – عصمت هانم، دور المرابطين ، ص١٩٩، راجع ، الذهبي، العبر ، ج٣ ، ص ٣٥٧ .

(٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢، ص ٥٩٠ – النباهي، المرقبة العليا، ص ١٠٥ – ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص ١٦٠

حيث لم يترك وقته يذهب سدى من اجل التعلم والتعليم، مهما كلف من المهمات، حتى، ولو كان ذاهبا إلى الحروب، كما ذكرنا ذلك عن الفقيه (ابو علي الصفدي) شهيد قتندة في الاندلس عام ٥١٤ هـ (١)، كان ارسال هذه السفارة بعد جوازه الثالث إلى الاندلس عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠ م وعزمه على جعل الاندلس ولاية مرابطية بعد ان يخلع ملوكها، واخذ يستولي عليها تباعا (٢)، وكان يهمه إلى جانب الحصول على المرسوم الخلافي، ان يحصل على سند شرعي يبرر تصرفه نحو اولئك الامراء.

ويبدو لنا ان الفقيه المعافري وابنه كانا يبثا دعاية واسعة، للاشادة بحكم يوسف بن تاشفين ومواقفه البطولية في الاندلس، وذلك خلال وجودهما في الحجاز او العراق؛

خلال وجود السفير المرابطي وابنه في بلاد الشام ،حملا معهما رسائل بالتوصية والأكرام من والي دمشق (٣) ،وجماعة من رؤسائها ومن قاضيها (الشهرستاني) لتسهيل مهمتهم في بغداد لمقابلة الخليفة العباسي ، ولكننا نجد أن السفير المرابطي لم يقابل الخليفة إلا في عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م وهي السنة التي حصل فيها على التقليد ، وقد ذلل لهما صعوبة الاتصال بالخليفة أحد أصدقاء ابن العربي ، وهو التاجر أبو الحسن بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب (٤) وكان هذا التاجر قد زار الاندلس عام ٤٨٣هـ فأنزله المعتمد بن عباد عند ابن العربي الذي اكرمه وتخلى له عن مناظرته بالمسجد ، فعمل هذا التاجر على توصيلها للوزير محمد بن محمد بن جهير ،وزير الخليفة المستظهر ،فرفع أمرهما إلى الخليفة؛ وعندما تأخر ابن العربي ،أرسل يوسف بن تاشفين رسولا آخر وهو (القاضي ابن القاسم) ليحث ابن العربي على الإسراع بالعودة، ولكن برغم هذه الصعوبات فقد نجحت سفارة ابن العربي (٥) .

---

(١) الحجى ،التاريخ الاندلسي ، ص ٤٢٩–٤٣٠.
(٢) ابن الأثير :الكامل ،جـ١٠ ، ص ١٨٧ وما بعدها .
(٣) سيطر السلطان السلجوقي ألب أرسلان على الشام بعد عام ٤٦٣هـ، وسار ابنه ملكشاه (٤٦٥ – ٤٨٥) على سياسة ابيه ، والذي عين أخاه تتش ملكاً على بلاد الشام فقامت بذلك دولة سلاجقة الشام ، راجع العبادى ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣٥٧ .
(٤) ابن الايار ، المعجم ، ص٢٢ .
(٥) عصمت هانم ، د ر المرابطين ،ص٢٠١ – ٢٠٢.

وجه القاضي ابن العربي رسالة إلى الخليفة المستظهر العباسي ، يزكى الامير يوسف بن تاشفين عنده ، ضمنها حال يوسف بن تاشفين وأفعاله وولاءه للخلافة العباسية وسيرته في الناس، وطلب في أثر ذلك من الخليفة استصدار تقليد من الخلافة العباسية لاقرار سيادة ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين الامير يوسف بن تاشفين على (بلاد الذهب ممايلي غانه) والمغرب والأندلس حتى يقيم أمره ، ويؤيد سلطانه كما طلب توصية من الخليفة له ولابنه محمد . وجاء رد الخليفة المستظهر على ظهر الخطاب في صورة توقيع في سبعة وثلاثين سطراً مؤرخاً في رجب عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م، وكان التوقيع تمجيداً للخلافة وحثاً على الطاعة ، وتقديراً لما يبذله يوسف بن تاشفين وفي الخاتمة توصية بابن العربي وولده (١) .

وحصل السفير على رسالة من وزير الخليفة العباسي محمد بن محمد بن جهير الصاحب شرف الدين عميد الدولة (ت عام ٤٩٣هـ ١٠٩٣م) (٢) ، موجهة إلى يوسف بن تاشفين كتبت في ١٢ من رجب عام ٤٩١هـ وفيها تقدير لما قام به أمير المسلمين ، وثناء على حسن رأيه ، وفي آخرها أيضاً توصية بالسفير المرابطي وابنه (٣) .

ولقى السفير المرابطي الامام أبو حامد الغزالي، قطب فقهاء المشرق يومئذ في بغداد، وشرح له أحوال الأندلس وتخاذل ملوكها عن المشاركة في الجهاد ومجاملة النصارى، وبين له مواقف يوسف بن تاشفين الجهادية ، وما اضطلع به من جليل الاعمال .

وقد حصل السفير المرابطي من الامام الغزالي على فتوى تبرر موقف يوسف ابن تاشفين من ملوك الطوائف ، وحقه في قتال هؤلاء الملوك والظفر بأموالهم (٤).

ولفتوى الغزالي أهمية كبيرة ، إذ أظهرت حق يوسف بن تاشفين في جهاد ملوك الطوائف ، وأفتى بشرعية حكم يوسف ، حتى ولو تأخر وصول تقليد الخلافة ، وطلب الغزالي من الخليفة سرعة إرسال التقليد (٥) .

---

(١) عصمت هانم دور المرابطين ، ص ١٩١ – مخ، ٢٠٣ وبعدها ، ٢١٥ وبعدها .

(٢) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٥، ص١٦٥ – زمباور – معجم الأنساب والاسر الحاكمة، جـ١ ، ص٩ .

(٣) عصمت هانم ، دور المرابطين – مخ ص ٢١٧ وبعدها .

(٤) عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ١، ص ٤٢ – ٤٣ – النباهى، المرقبة العليا ص١٠٥ – ١٠٦ ذكر رحلة المعافرى وابنه دون ذكر السفارة .

(٥) عصمت هانم ، دور المرابطين – مخ، ص ٢٢٩ وبعدها.

وأما الرسالة التي وجهها الامام الغزالي إلى يوسف ، وإن كانت غير مؤرخة ولكن يبدو أنها صدرت قبل رسالة الخليفة بقليل ، فيقص فيها ماسمعه من الفقيه ابن العربي عن جهود يوسف في جهاد الممالك النصرانية في اسبانيا ، وتبجيله لاهل العلم واكرامهم ، ثم هو يوصي يوسف خيراً بالسفير المرابطي وابنه ، ويشير إلى جدهما في طلب العلم (١) .

وقد اعجب الامام الغزالي ، بخلال يوسف بن تاشفين ، ورأى فيه الامام الأمثل ، وروى أنه أراد أن يذهب بنفسه إلى المغرب ليرى ماحققه يوسف من انتصارات ولكن قيل أنه ماكاد يبلغ ثغر الاسكندرية حتى علم بوفاة يوسف ، فعاد من حيث أتى (٢).

توفي السفير المرابطي بثغر الاسكندرية في فاتحة عام ٤٩٣هـ(٣)، وهو في طريق العودة إلى المغرب (٤) ، ويبدو أن رسالة الامام أبو بكر الطرطوشي ، من أقطاب الفقهاء المالكيين(٥) الموجهة إلى يوسف بن تاشفين قد كتبت بعد وفاة السفير ، إذ أنها لاتتضمن إلا توصية بالابن وحده (٦) .

وجاءت رسالة الطرطوشي هذا مليئة بالوعظ والارشاد مؤيدة بكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والروايات عن الصالحين وأهل الخير ، ونرى فيها أيضاً أنه يخاطب يوسف بن تاشفين بلقب الامير أبو يعقوب ، كما يتهمه بلبس الناعم من الثياب والانغماس في ملذات الحياة (٧) :

عاد أبو بكر محمد بن العربي إلى المغرب وهو يحمل مرسوم الخليفة إلى عاهل المرابطين ، مع رسائل الغزالي والطرطوشي (٨) ، وأصبح الفقيه أبو بكر ، على ضوء هذه الرحلة من

---

(١) عصمت هانم ، دور المرابطين – مخ ، ص ٢٢٣ وبعدها – عنان ، عصر المرابطين والموحدين جـ١ ، ص٥٣٠ – ٥٣٣.

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعوان ، جـ٦ ، ص١٢٤ – حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٢٣.

(٣) النباهي ، المرتبة العليا ، ص١٠٦ – ابن بشكوال ، الصلة ، ق١ ، ص ٢٨٩.

(٤) ابن خير ، الفهرسة ، ص ٢٢٩.

(٥) عنان ، تراجم اسلامية ، ص ٢٩٧ .

(٦) عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص ١٩٣.

(٧) عصمت هانم ، دور المرابطين ، مخ ، ٢٣٧ وبعدها.

(٨) عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

الفقهاء المشهود لهم بغزارة العلم فقصده طلاب العلم من جميع انحاء الاندلس ، وقد عاش إلى عام ٥٣٣هـ / ١١٤٨م (١) :

واستمر ولاء امراء المرابطين للخلافة العباسية بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ، كما استمرت المراسلات بين الخليفة العباسي وأمير المرابطين ، كما حدث في عهد الامير علي يوسف بن تاشفين ، وقد أشار صاحب الحلل الموشيه إلى هذه الرسالة والمؤرخة في عام ٥١٢ هـ .

تبدأ هذه الرسالة بديباجة مألوفة طويلة ، ولقبت على بن يوسف : (مقيم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية) أي لم يلقبه الخليفة العباسي بأمير المسلمين وناصر الدين، ويظهر ان هذا اللقب محلي (٢) ، ويبدو من قراءة الرسالة انها رد على رسالة قد بعث بها الامير علي بن يوسف إلى الخليفة العباسي يوضح فيها ولاءه للخلافة العباسية ومساعية في مجاهدة النصارى ، وتشير الرسالة من بعيد إلى تحذير الخليفة لامير المرابطين من العصيان وخلع طاعة العباسيين ، ويطلب منه اخيرا التهيؤ ومواصلة الجهاد ، والدعاء للخليفة العباسي على منابر المغرب والأندلس (٣) .

من المألوف ان ارسال مثل هذه الرسائل يكون بمناسبة ، مثل مبايعة خليفة جديد، أو تولى امير جديد حكم منطقة تابعة للدولة : فمن الملاحظ ان الخليفة العباسي المستظهر توفى عام ٥١٢هـ ، فليس من المحتمل ارسال كتاب إلى أمير المرابطين بهذه السنة بدون مناسبة ، ولكن لعل الامر يشير إلى ان هذا الكتاب قد ارسل من قبل الخليفة الجديد (المسترشد ٥١٢ — ٥٢٩ هـ) او لعل صاحب الحلل الموشيه قد أخطا في التاريخ :

ولكن يبدو لنا انه عندما تولى على بن يوسف امارة دولة المرابطين بعث برسالة ولاء إلى الخليفة العباسي سيرا على سياسة ابيه (٤) ، فكان رد الخليفة المستظهر على هذه الرسالة ، لأننا اذا لاحظنا النص التالي : « فأما ما أنهيته من توفرك

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب،ص ٢٨٢ — ابن بشكوال ، الصلة، ق ٢ ، ص ٥٩٠.
(٢) مؤنس ، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ،ص ٦٦.
(٣) ابن الخطيب ،الحلل الموشية ،ص ٧١ —٧٣.
(٤) محمد عثمان المراكشي ، الجامعة اليوسفية ص ٩٥ — حركات المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

على الجهاد ، ومن في جملتك من الاجناد ، ودفع أدناس الكفرة عما يليك من البلاد، ::.) » لعل في ذلك اشارة إلى أن مثل هذه المراسلات قد تمت بعد عام (٥٠٠هـ) بفترة قصيرة أولعلنا نستدل على ذلك من بعض الروايات ، التي ذكرت اعادة مملكة بني مناد ، الفرع الشرقي (آل زيرى في تونس) الطاعة للدولة الفاطمية بعد عام ٥٠٠هـ مباشرة ، وذلك في عهد يحيى بن تميم (٥٠١ – ٥٠٩هـ) وابنه على (٥٠٩ – ٥١٥هـ) (١)، وقد اشار ابن عذارى ايضا إلى هذا الاتصال في عام ٥٠٥هـ، وعام ٥١١هـ (٢).

ويخيل لنا ان الخليفة العباسي المستظهر تخوف من هذا التطور الجديد في العلاقات بين مملكة مناد والدولة الفاطمية ، فأرسل إلى أمير المرابطين هذه الرسالة، وفيها تحذير من بعيد لامير المرابطين من خلع طاعة العباسيين « ::: واذ علابك الانبساط فطامن جناحك، واردد من طماحك ، واعط من نفسك ماتريد ان يعطيك من فوقك : » (٣) ، او على الاقل عدم الاعتراف بطاعة للدولة الفاطمية في مصر ، علما بأن العلاقات كانت جد حسنة بين امير المرابطين وامره بني زيرى في تونس في هذه الفترة ، التي زاد فيها اعتداء النورمان على سواحل افريقيـة ؛

وبعد ذلك تسكت الروايات عن ذكر مثل هذه المراسلات ، وخاصة بعد عهد الخليفة المستظهر العباسي ، وبعد عهد أمير المرابطين علي بن يوسف (٥٠٠ – ٥٣٧هـ) حيث أعقب الخليفة المستظهر في حكم الدولة العباسية ، الخليفة المسترشد الذي صرف وقته في محاربة السلاجقة وذهب ضحية لمؤامراتهم (٤). كما أن امراء المرابطين بعد الامير علي بن يوسف كانوا من الضعف بحيث لم تذكر لهم الروايات التاريخية أية تفاصيل كعهدها عند ذكر يوسف وابنه علي : ويبدو وقوع تطور في العلاقات بين المرابطين والعباسيين في السنوات الأخيرة من عهد الدولة ، حيث جاء في الدينار المرابطي (رقم ٥٥٣) والذي ضرب في مدينة تلمسان عام ٥٣٤هـ مايلي: ضرب هذا الدينار بتلمسان سنة ٥٣٤هـ، لا اله إلا الله ؛

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى، جـ ٥ ،ص ١٢٥ .
(٢) البيان المغرب، جـ٣، ص ٣٠٥ ، ٣٠٧ .
(٣) مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس [illegible]
(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، جـ١٢، ورقة ١٨٤ (مخ) – الكازروني، [illegible] التاريخ ، ص ٢٢١ – ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص ٤٨ .

محمد رسول الله : أمير المسلمين علي بن يوسف ، ولي عهده الأمير تاشفين :«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» حيث لم يرد فيه لقب الخليفة العباسي : (١)

رجحنا اعتراف الدولة المرابطية بالخلافة العباسية في عهد يوسف إلى جانب ارسال السفارات التي رجعت بالتقليد من الخليفة العباسي : وبجانب ذلك نرى بان المرابطين اتخذوا السواد شعاراً لهم في ملابسهم واعلامهم ، اقتداء بزي بني العباس (٢).كما كان شعارهم الأسود عندما دخلوا الأندلس ، فيروى أن المعتصم ابن صمادح صاحب المرية أراد التقرب من المرابطين، فارتدى ثوباً مرابطياً أسوداً (٣) : ولو أن بعض الروايات الأخرى تشير إلى أن السواد كان شعار المرابطين قبل أن يدعوا للعباسيين على منابر بلادهم (٤)

على أية حال ، فقد بقى المرابطون يدعون للعباسيين حتى دالت دولتهم ، فانتهت بذلك السيادة العباسية في بلاد المغرب (٥) :

الاتجاه الثاني :

استطاعت دولة المرابطين أن تقضي على السياسة التي سارت عليها البابوية لاثارة حرب صليبية في الأندلس ، بل لعبت دوراً في غاية الأهمية في تاريخ المعركة الصليبية التي اضطرمت نارها في المشرق ، وذلك بأسلوب مباشر وغير مباشر :

فالتأثير غير المباشر ، فقد كان نجاح دولة المرابطين في الحيلولة بين ممالك اسبانيا النصرانية وبين المساهمة في الحملات الصليبية التي نظمت للاستيلاء على بيت المقدس ، ووقوف المرابطين لهم بالمرصاد إذ كانوا يجاهدونهم ويهددون ممالكهم . ويبدو أنه لولا قيام دولة المرابطين في ذلك الوقت بالذات ، لكان النجاح الذي احرزته ا لحملات الصليبية في المشرق أبعد أثراً ، ولاستطاعت القوى الاوربية كلها أن تنصرف إلى معركة المشرق ولعل قيام دولة المرابطين ونجاحها في المعركة الصليبية الدائرة الرحى في الأندلس ، قد

---

(١) ولد داده ، هيئة الملك في المغرب ،ص ١١٣ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ (ح ٣١٣) .
(٢) العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ،ص ١٠٠ .
(٣) رشباخ ،تاريخ الأندلس ،ص ١٠٩ .
(٤) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.
(٥) المراكشي ،المعجب ،ص ٢٧٢ .

أحيا الآمال وهز مشاعر المسلمين في المشرق الاسلامي ،فأدركوا أن في المغرب الاسلامي قوة ناشئة استطاعت حين وحدت القوة المتنافرة - أن تحرز ذلك النصر الرائع ، وأن تذيق اعداءها البأس والشدة (١) :

والتاثير المباشر، فقد اهتم المرابطون بالجهاد في المشرق الاسلامي اهتماما ملحوظا، ولو كان على مستوى فردي ، الا أنه يمثل مبدأ عام سار عليه المرابطون - فكان يحز في نفوسهم ان يروا اخوانهم في الدين قد تفرقوا واصبحوا شيعا واحزابا ، تأكلهم وتهددهم الفرقة والتمزق:

على العموم ، حدد بعض المؤرخين تاريخ الحروب الصليبية بين ١٠٩٦ - ١٢٩١ م، وهو المرحلة الحاسمة من هذا التاريخ (٢). ففي الوقت الذي بدأت فيه جحافل الصليبية تسير إلى المشرق الاسلامي، كانت حواضر الاندلس المهمة مثل طليطلة وبلنسيه وغيرها قد سقطت بيد نصارى الاسبان، وفي صقلية كان وضع المسلمين حرجا ويعمل النورمان على طردهم، وكانت اساطيل ايطالية تهاجم سواحل شمالي افريقية والسواحل الاندلسية (٣):

ويبدو لنا من استعراض الحوادث ان حكم دولة المرابطين في المغرب الاسلامي عاصرا احداث الحملة الصليبية الاولى ابتداء من عام ٤٩٠ ﻫ/١٠٩٦، والى بداية احداث الحملة الصليبية الثانية ٥٤١ - ٥٤٤ ﻫ ١١٤٧ - ١١٤٩ م).

كانت نتيجة الحملة الصليبية الأولى في عام ٤٩٠ﻫ/١٠٩٦م التي تزعمها صليبو فرنسة(٤) ، ظهور أولى الامارات الصليبية في المشرق في عام ٤٩٢ﻫ/١٠٩٨م في مدينة الرها وقونية ، وبعدها بقليل ظهرت الامارة الصليبية الثانية في انطاكية (٥) ومن ثم ظهور الامارة الصليبية الثالثة بعد سقوط بيت المقدس عام ٤٩٣ﻫ ١٠٩٩م (٦). ثم اعقب ذلك سقوط مدن الشام تباعاً بين عام ٤٩٥ﻫ والى عام ٥١٨ﻫ، فقامت الامارة الصليبية الرابعة (٧):

(١) حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين ، ٣٣٠.
(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ،ج١ ،ص٤٣٧.
(٣) عاشور ،الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٨٥ وبعدها .
(٤) The Cambridge Medieval history, 5, P. 274
حتي تاريخ العرب ،ص ٧٢٩ - عاشور ،أوربة العصور الوسطى، ج١ ،ص٤٤٣
(٥) The Cambridge, op.cit, 5pp: 285, 292.
(٦) عاشور ،أوربة العصور الوسطى ،ج١ ،ص ٤٤٩.
(٧) عاشور ،الحركة الصليبية ،ج١ ،ص٢٧٥ - حتي، تاريخ العرب ،ص ٧٣٠.

كانت الدولة الاسلامية ، في وقت سيطرة الصليبيين على بلاد الشام ، في حالة من التفكك والتمزق ، فكانت بحاجة إلى جبهة قوية موحدة تواجه الصليبيين ، فالخلافة العباسية تعيش الصراع بين حكامها وسلاطين السلاجقة ، بالاضافة إلى العداء السياسي والمذهبي مع الدولة للفاطمية في مصر وبلاد الشام :

إلا أن ظهور بعض الإمارات الإسلامية قرب إمارات الصليبيين في بلاد الشام ، والتي كان ظهورها قائماً على نظام الفروسية ، المرتكز على عامل الجهاد في سبيل الله عاملا مهماً في دحر الصليبيين وانتزاع ممتلكاتهم (١) :

ومن مؤسسات الفروسية الاسلامية هذه ، نشأت الدولة الزنكية التي اسسها في الموصل الاتابك (٢) عماد الدين زنكي (٥٢١ – ٥٤٠هـ/ ١١٢٧ – ١١٤٦م) الذي ضم اليه حلب ، ثم انتزع مدينة الرها من الصليبيين في عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤ م ، (٣) ولم تستطع الخلافة العباسية ان تقدم له مساعدات الا في نطاق محدود ، عندما قام بواجب الجهاد في سبيل الله (٤)

وقد اثار استرجاع المسلمين لمدينة الرها فزع العالم النصراني ، فبدأت الاستعدادات لارسال حملة صليبية ثانية ، ولكن الفشل حالف هذه الحملة الثانية (٥٤١ – ٥٤٤هـ) (٥)

ان الخلفاء العباسيين الذين عاصروا احداث الحملة الصليبية الاولى هم المستظهر (٤٨٧ – ٥١٢هـ) ، والمسترشد (٥١٢ – ٥٢٩هـ) وقد كانت لهم علاقات حسنة مع دولة المرابطين في المغرب ، كما بينا ، على عهد الامير يوسف بن تاشفين وابنه علي : ولكن من خلال استعراض الحوادث ، يتبين لنا ان الدولة المرابطية كانت مشغولة في عهد الحملة الصليبية الاولى ، بمقارعة النصارى الاسبان في الاندلس ، وقد جندت كل امكانياتها العسكرية لهذا الغرض ، خاصة منذ ان اصبح القمبيطور سيد بلنسيه وحاكمها المطلق ابتداء من عام

(١) عمارة ، الدكتور محمد عمارة ، «بالفروسية كسر العرب شوكة الصليبيين» ، مجلة العربي العدد ٢١٧ ، (الكويت : ١٩٧٦) ، ص٢٥ – ٢٦ .

(٢) الاتابك ، لفظة تركية مؤلفة من أتا : أب ، بك : الأمير ، راجع : أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين ، ج١ ، ص٢٤.

(٣) حتى ، تاريخ العرب ، ص ٧٣٤ – عاشور ، أوربة العصور الوسطى ، ج١ ، ص٤٥٢

(٤) أيضاً ، ص ٥٥٧.

(٥) The Cambridge, 5, pp: 366-367.

حتى ، تاريخ العرب ، ص ٧٣٤ .

٤٨٥هـ/ ١٠٩٣ م ،والتي لم تحرر من السيطرة القشتالية الا في عام ٤٩٥ هـ/١١٠٢م ، فكانت القوات المرابطية وجموع المجاهدين الاندلسيين تقارع القوات النصرانية بحروب عاتية ، لاتقل شدتها عن معارك الجهاد في المشرق الاسلامي ، والتي ادت إلى سقوط بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م ،وبذلك وافق سيطرة القمبيطور على مدينة بلنسية ، (٤٨٧ – ٤٩٥هـ) تاريخ أول حملة صليبية إلى المشرق الاسلامي . (١)

لم تكن ظروف المرابطين مواتية لارسال النجدات إلى المشرق الاسلامي ، وبخاصة ان الدولة الفاطمية تشكل حاجزا كبيرا بين اراضي دولة المرابطين واراضي الدولة العباسية، اضافة إلى حراجة مركزها في الاندلس والمغرب : ولم يكن امام المرابطين ، كما تذكر بعض الروايات ، سوى مساهمات فردية ، حيث رحل بعض الفقهاء – عقب الحملة الصليبية الاولى – إلى المشرق الاسلامي ، وبخاصة إلى بغداد وخطبوا في الناس يستنهضون الهمم ويلهبون الحماس في النفوس ، ويدعون الى الجهاد في المشرق كما دعو اليه في المغرب ، وكان ذلك في عام ٤٩٩ هـ . (٢)

وقد شارك بعض المرابطين – الفقيه المرابطي الذي وعظ في بغداد – في حروب الفاطميين الجهادية ضد الصليبيين ، وقد استشهد في بعضها وسنوضح ذلك فيما بعد بعون الله .

وعلى أية حال ، مثلما قاومت الدولة الفاطمية ، والامارة الزنكية قوات الصليبة في المشرق الاسلامي ، قامت دولة المرابطين في المغرب الاسلامي ، بنفس الدور ، حيث تصدت لقوات النصرانية الاسبانية والاوربية التي وفدت على شكل حملات متعاقبة إلى الاندلس عند حراجة نصارى اسبانية ، واوقفت خطرها إلى حين وقللت من خطر الحملات الصليبية الذاهبة إلى المشرق الاسلامي .

---

(١) اشباخ ،تاريخ الاندلس ،ص ١١١.
(٢) ابن الأثير ،الكامل ،جـ١٠ ص ٤١٤ – حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين،ص٢٣١.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات

ابن بسام / ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ)

١ ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، الجزء ٢، المتحف العراقي رقم (١١٨٧):

ابن حمدون محمد بن الحسن (٥٦٢ هـ) .

٢ ـ التذكرة الحمدونية، ج١٢، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب جامعة بغداد رقم (١٢٨٢)

اكنسوس / ابو عبد الله محمد (١٢٩٤هـ)

٣ ـ الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا سيدي علي السلجماسي، ميكروفيلم، رقم (١١٨٣) دار الكتب المصرية:

المصادر

١ ـ القرآن الكريم

ابن الابار / ابو عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨ هـ)

٢ ـ الحله السيراء، تحقيق د: حسين مؤنس، جزءان (القاهرة : ١٩٦٣)

٣ ـ المعجم في اصحاب القاضي الامام ابن علي الصدفي (القاهرة : ١٩٦٧)

ابن ابي دينار / ابو عبد الله محمد ابن ابي القاسم الرعيني (١٠٩٢ هـ)

٤ ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس (تونس : ١٢٨٦ هـ)

ابن ابي زرع / ابو الحسن علي بن محمد (كان حيا قبل عام ٧٢٦ هـ)

٥ ـ الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (اوبساله : ١٨٤٣)

ابن الاثير عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري، (٦٣٠ هـ)

٦ ـ الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧):

الاصفهاني / عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (٥٩٧هـ)

٧ ـ تواريخ آل سلجوق (مصر : ١٣١٨هـ)

ابن بشكوال / أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري (٥٧٨هـ)

٨ ــ كتاب الصلة / القسم الأول والثاني (القاهرة ١٩٦٦)
ابن تعزى بردى جمال الدين يوسف الأتابيكي (٨٧٤هـ)
٩ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء ٥ ، (القاهرة : ١٩٦٣) وطبعه أخرى
ابن الجوزي / عبد الرحمن بن علي
١٠ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج١٠، (الهند ١٩٥١).
ابن الخطيب / لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (٧٧٦هـ).
١١ ــ اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق : ليفي بروفشال (بيروت : ١٩٥٦)
١٢ ــ المنسوب / الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : علوش:(الرباط ١٩٣٦)
ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)
١٣ ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٦ ، (بيروت ١٩٥٨) وطبعة أخرى
ابن خلكان / شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (٦٨١هـ)
١٤ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ،(بيروت : ١٩٦٨) وطبعة أخرى :
ابن خير / أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي :
١٥ ــ فهرسة ماروا‌ه عنها شيوخه ، تحقيق : كوديرا (سرقسطه : ١٨٩٣)
أبو شامة / شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٦٥هـ)
١٦ ــ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، الجزء الأول (القاهرة: ١٩٦٢) وطبعة أخرى :
ابن عذارى المراكشي/ أبو العباس أحمد بن محمد (توفي بعد ٧١٢هـ):
١٨ ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب
ج٣، تحقيق : بروفنسال (بيروت :بدون تاريخ)
ج٤، تحقيق :احسان عباس (بيروت: ١٩٦٧.)
ابن فرحون / برهان الدين بن علي بن محمد (٧٩٩هـ)

١٨ ـ الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب (طبع مصر: ١٣٥١هـ)
ابن القاضي/ أحمد بن محمد بن محمد (١٠٢٥هـ)
١٩ ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (فاس ١٣٠٩هـ)
ابن الكردبوس/ أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري)
٢٠ ـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس)، تحقيق : أحمد مختار العباوي (مدريد ١١٧١)
ابن المؤقت المراكشي محمد بن محمد بن عبد الله
٢١ ـ السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية (مراكش : ١٣٣٥هـ)
البغدادي/ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد
٢٢ ـ للفرق بين للفرق وبيان للفرقة الناجية منهم (مصر : ١٩١٠)؛
للذهبي/ شمس للدين محمد بن آحمد (٧٤٨هـ)
٢٣ ـ العبر في خبر محمد غير ، الجزء الثالث ، تحقيق : فؤاد سيد (الكويت : ١٩٦١)
السلاوي/ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (١٣١٥هـ)
٢٤ ـ الاستقصى لاخبار دول المغرب الاقصى ، الجزء الاول والثاني ، تحقيق : ولدى المؤلف جعفر ومحمد (الدار البيضاء : ١٩٥٤)؛
السراج/ الوزير للسراج
٢٥ ـ الحلل السندسية في ذكر الاخبار التونسية ، الجزء الأول ، القسم الرابع (تونس ١٤٨٧هـ)
للسيوطي/ جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)
٢٦ ـ تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة: ١٩٦٤)
الصفاقسي /محمد بن سعيد مقديش
٢٧ ـ نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار، الجزء الأول (تونس: ١٣٢١هـ)
عياض/ عياض بن موسى بن عياض القاضي (٥٤٤هـ)
٢٨ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، الجزء الرابع
تحقيق أحمد بكير محمود (بيروت: ١٩٦٥)
القلقندي / احمد بن عبد الله (٨٢١هـ)

٢٩ – صبح الاعشى في صناعة الانشا ، الجزء الخامس (القاهرة : ١٩٦٣)
الكازوني/ علي بن محمد (٦٩٧هـ)
٣٠ – مختصر التاريخ ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد : ١٩٧٠)
المراكشي / محي الدين عبد الواحد بن علي (٦٤٧هـ)
٣١ – المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي (القاهرة : ١٩٦٣)
مؤلف مجهول
٣٢ – مفاخر البربر ، تحقيق : ليفي بروفنسال (الرباط : ١٩٣٤)
النباهي/ أبو الحسن عبد الله الحسن (٧٩٣هـ)
٣٣ – تاريخ قضاة الاندلس المسمى بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (بيروت: بدون تاريخ)
النويري/ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)
٣٤ – نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء ٢٢ (غرناطة : : ١٩١٧)

المراجع العربية

اشباخ / يوسف (اشباخ)

١ - تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة : محمد عبد الله عنان (القاهرة : ١٩٤٠) وطبعه اخرى

بن ثاويت / محمد (بن ثاويت) ومحمد الصادق عفيفي

٢ - الادب المغربي (بيروت : ١٩٦٩)

الجمل / احمد محمود (الجمل)

٣ - امير المسلمين يوسف بن تاشفين (القاهرة : ١٩٧٧)

الجيلالي / عبد الرحمن (الجيلالي)

٤ - تاريخ الجزائر العام، الجزء الاول، (بيروت : ١٩٦٥)

حتي / فيليب (حتي) وآخرون

٥ - تاريخ العرب (مطول)، الجزء الثاني (دار الكشاف : ١٩٦٥)

الحجي / عبد الرحمن (الحجي)

٦- التاريخ الاندلسي، (دمشق : ١٩٧٦)

حركات / ابراهيم (حركات)

٧ - المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء : ١٩٦٥)

زمباور

٨ - معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة : زكي محمد حسن وحسن احمد محمود (القاهرة : ١٩٥١)

شلبي / احمد (شلبي)

٩ - موسوعة التاريخ الاسلامي والحضاره الاسلامية، الجزء الرابع (القاهرة : ١٩٧٥)

عاشور / سعيد عبد الفتاح (عاشور)

١٠ - اوربا العصور الوسطى، الجزء الاول (القاهرة : ١٩٦٤)

١١ - الحركة الصليبية، الجزء الاول (القاهرة : ١٩٦٣)

العبادي / أحمد مختار (العبادي)

١٢ - في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت : ١٩٧١)

١٣ – في تاريخ المغرب والاندلس (الاسكندرية بدون تاريخ)
عبداللطيف / عصمت هانم (عبداللطيف)
١٤ – دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا مع نشر وتحقيق رحلة ابو بكر المعافري ، ٤٣٠ – ٥١٥هـ ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات الافريقية (جامعة للقاهرة : ١٩٧٥)
عنان / محمد عبدالله (عنان)
١٥ – تراجم اسلامية شرقية واندلسية (القاهرة : ١٩٥٧)
١٦ – دول الطوائف (القاهرة : ١٩٦٩)
١٧ – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الاول (القاهرة : ٦٦ ١
محمود / حسن أحمد (محمود)
١٨ – قيام دولة المرابطين (القاهرة : ١٩٥٧)
المراكشي / محمد عثمان (المراكشي)
١٩ – الجامعة اليوسفية (الرباط : ١٩٣٧)
الميلي مبارك الهلالي (الميلي)
٢٠ – تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني(الجزائر: ١٩٦٣) وطبعة اخرى
ولد داده / محمد (ولد داده)
٢١ – مفهوم الملك في المغرب ، دار الكتاب اللبناني والمصري (الطبعة الاولى : ١٩٧٧)
للدوريات : –
عمارة ، محمد (عمارة)
١ – «بالفروسية كسر العرب شوكة الصليبيين»مجلة العربي، العدد ٢١٧«(الكويت: ١٩٧٦)
مؤنس ، حسين (مؤنس)
٢ – « صبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس » معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ١٩٥٤»؛
المراجع الأجنبية
Bury — J — B
1— Cambridge medieral history, Vol, 5, (Cambridge: 1967)
Mahmud Brelvi
2— Islam in Africa (Lahor : 1964)
Thomas - W- Hrnold
3— The caliphate (England : 1942) .